يستعرض في الضوء الأخير

ظله الطويل تارة،

وظله القصير!

وما مملكة الليل في هذا الإطار إلاّ مرآة، «دنيا ثانية / [يدخلها الناس]إن أتى الليل فرادى،/ ينظرون في مراياها النفوس الخاوية....» وهناك يرون أيضاً كيف:

الخوف صار وطناً

وصار عملة،

وصار لغة قومية،

صار نشيداً وهوية

وصار مجلساً منتخباً

والخوف صار حامية![١٠]

وواضح أن هذا الخوف السياسي أبعد ما يكون عن الخوف الروحي الذي يقول المتحدث في مطلع «الأرض اليباب» إنه سيظهره في «حفنة من التراب.» إنه الخوف السياسي الذي شعر به حجازي، ضمن عدد من المثقفين المصريين حوالي عام ١٩٧٣ ـ عام كتابة القصيدة ـ عندما كان أنور السادات في بداية حكمه يفرض أسلوبه التسلطي الخاص في مصر مابعد عبد الناصر. وكمؤيد للرئيس السابق جمال عبدالناصر لم يكن لدى حجازي خيار غير الرحيل إلى باريس حيث بدأ اغترابًا امتد إلى سبعة عشر عاماً في مدينة الآخر.

في باريس كتب حجازي معظم قصائد *كائنات مملكة الليل*، لكن هذا لم يؤد إلى تمحور القصائد على تجربة باريسية مميزة أو على مملكة ليلية خربة. بدلاً من ذلك يلاحظ القارئ أن المهيمن على قصائد الديوان هو العالم العربي بهمومه السياسية والثقافية. وإذا استثنينا عدداً قليلاً من القصائد، فإن باريس تحضر إلى الديوان في

---

(١٠) *كائنات مملكة الليل* (بيروت : دار الآداب، ١٩٧٨).